سوناتا لروما ...

رواية

عزة مصطفى عبدالعال

سوناتا لروما ...
عزة مصطفى عبد العال

دار
البديع العربي
للطباعةوالنشر
ت / 01061635162
رقم الإيداع: - **9496 - 2023**
الترقيم الدولي: **978-977-94-5812-0**
تصميم الغلاف للفنانة/ منى شومان

إن الآراء الواردة في هذا المصنف لا تعبر بالضرورة عن آراء وتوجهات الناشر وإنما تعبر عن رأي المؤلف فقط

يمنع نشر أو نسخ أو ترجمة هذا المُصنف أو جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيك بما فيها التسجيل الفوتوغرافي و التسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها المعلومات واسترجاعها بدون إذن كتابي من المؤلف طبقاً لقانون حماية الملكية الفكرية رقم 82 لسنة 2002 والقوانين المماثلة لها.

سوناتا لروما

عزة مصطفى ٢

الإهـــــــــداء

إلـــى ..

أبي الذي غيبه الموت لكنه حاضر كل مواقيتي

و إلـــى ...

عمي الذي ابتلعته الغربة وكان لي وطن

عزة مصطفى عبد العال

#- سوناتا لروما -

عزة مصطفى- ٣-#

سوناتا لروما

عزة مصطفى-٤-

مقـــــــــــدمـة

الصباحات مفعمة برائحة الرحيل؛ سماء محملة بغيوم قاتمة تنذر بيوم مطير، باعة جائلون ينسحبون من قوت يومهم بعد فراغ الشوارع بفعل الرياح.. مشرد يجلس في زاوية بعيدة يرتجف في صمت.. سيارات تئن بأثقال ركابها.. أبواب مغلقة على أسرار تفوح منها رائحة العطن .

أتمسح الشوارع الباردة بعيني كأني أودع أخر لحظاتي معها بوجود أبي.. أقطع مسافات من الصمت والضجيج صمت البيوت الغارقة في المطر وضجيج نفسي التي تستحثني على السير أسرع كي ألحق به .

في حجرة العناية المركزة كان يرقد بأنفاس بطيئة ونبض متذبذب... منكمش كطفل رضيع تشخص عيناه ناحية السماء أصيح :

- أبي ... أبي هل تسمعني ؟

يرد بهمهمات تنبأني إنه لازال على قيد الحياة لكن كيف سيصدق عقلي إنه يحتضر؟ كيف يتقبل أنني لن أجد من

#ـ سونـاتـا لـروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥ـ#

يستقبلني كل صباح بكوب اللبن الدافئ ودعوات تحفزني على التمسك بالبقاء رغم مرار الواقع؟ كيف سينطفئ شعاع النور الوحيد في حياتي؟ كيف سأواجه العالم منفردة فيطمع الذي في قلبه مرض ويطعن في ظهري الخائنون؟ أتوسل إليه للمرة الأخيرة أن يبقى معي :

- أبي ...

يرفع يده إلى السماء أفهم إنه يدعو لي فأشفق عليه وأمسك يده وأنا أتلو بعض آيات القرآن الكريم، لحظات ثقيلة مضت، الجسد الواهن الذي كان يرتجف يسكن أخيرًا تشير الأجهزة إلى توقف كل شيء؛ ضغط الدم نبض القلب تنفس الرئتين، شلالات عيني تسابق المطر فتواسيني الطبيبة :

- إنها أمانة وعادت إلى خالقها.

نعم كلنا أمانات وسنرد يومًا، سنستريح من عبء الوجود وثقل الهموم، سنترك كل صراعات الدنيا وزيف الوجوه سنمارس الصدق الوحيد في حياتنا وهو الموت.

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦ ـ#

سوناتا لروما

عزة مصطفى-٧-#

الـفـصل الأول

تفاصيل حُلم عابر

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٨ـ#

كأنــه حُلــم لا أســتطيع الاســتيقاظ منــه خشــية أن أفقــد تفاصيله هذا ما شعرت به حين هبطت الطائرة في مطار روما، وكأول مرة أسافر لبلد غريب تلفت حولي في دهشة لا أعرف ماذا أفعل وإلى أين أتوجه وكيف أستلم حقيبتي؟ نحن المصريون حين نخرج من مصر نصبح كالسمك الذي خرج من الماء نشعر أننا سنموت لمجرد البعد عن الحياة التى ألفنا تفاصيلها، لكن الجميل فينا أننا نجيد السباحة في أي بحر حتى لو كان باردًا لحد التجمد فنتكيف مع الأماكن الجديدة.

اكتشفت بعد برهة قصيرة أنني يجب أن أكف عن الأسئلة لأنها روما وكل الأمور تسير وحدها دون مزيد من الإجراءات الروتينية، ولا أدري كيف انتهى كل شيء ووجدت نفسي خارج المطار وبجواري حقيبتي أمام من جئت إليه وكان ينتظرني .

إنه عمي سعد الذي لم ألتق به في حياتي كلها سوى مرات قليلة عرفت، من جدي وأنا صغيرة أن أوروبا ساحرة شريرة وقد سحرته بمجونها وأجوائها الباردة ومنعت عودته إلى بلاده، ربما كان على حق فقد بدأ

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٩ـ#

مفعول السحر يسري في دمي منذ اللحظة الأولى لكني أدرك أن الإنسان يميل دومًا إلى النقيض ويشعر بحاجته الدائمة إلى قلب الموازين خاصة في اللحظات التي تتبدل فيها ثوابت حياته.

حين علم بموت أبي لم يتمكن من المجيء للمواساة والعزاء لأسباب قال لي ستعرفينها في وقتها، وحين وصل إلى مسامعه تدهور حالتي النفسية أرسل لي دعوة زيارة وأقنعني أخي بقبول الدعوة لعل البعد يرمم شروخ الفراغ الذي تركه أبي داخل روحي ؛ فقد كان كل ما أملك من الدنيا بعد رحيل أمي والرصيد المتبقي من نبع الحنان لكنه ذهب أيضًا، ولأني لم أر عمي منذ زمن بعيد فقد فوجئت بهيئته بعد أن مسته الشيخوخة وقد تحول إلى نسخة طبق الأصل من أبي في الهيئة وملامح الوجه ؛ طويل القامة واسع الكتفين أسود العينين وابتسامة دائمة لا تفارقه كفه العريضة التي احتوت كفي ليسحبني إلى السيارة، لم أشهد هذا التطابق في الشكل بين الأخ الكبير والصغير من قبل لدرجة التشابه في نبرة الصوت ونظرة العين ووقع الخطوة .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٠ ـ#

وكأنني عثرت على حضن دافئ شعرت معه بعودة أبي إلى الحياة بعد غيابه المباغت، تشبثت عيني بوجوده وتركت نفسي لأمواج روما تجذبني وتبعدني بالدهشة والانبهار، سارت السيارة وسط شوارع أنيقة متناسقة تصطف على جانبيها المحلات والمطاعم والمباني التي أجهل حقيقة وجودها حتى وجدت نفسي أمام البحر، لا أدري كيف عرف أنني كنت في حاجة إلى رؤية البحر في هذه اللحظة إلى الاغتسال من مخزون السنين ووجع الفراق التفت إليّ وأنا شاردة أمام البحر وقال :

- تفضلي البيت من هنا.

فوجئت أننا أمام بيته على البحر الأبيض المتوسط، هذا البحر لم آره في حياتي كلها سوى مرة واحدة في رحلة مصيف بصحبة أخي وأسرته، كانت مرة وحيدة ولم يسمح أبي بتكرارها بحجة عدم قدرته على تحمل بعدي عنه أو غيابي عن البيت لكني كنت أفهم الحقيقة التي لم يصرح بها أمامي وظل يرفض فكرة سفري لأي مكان لنفس الحجة الواهية ؛ والحقيقة أنه كرجل صعيدي لا يسمح ولا يطمئن على خروج البنت من بيت أبيها دون زواج، ولم يكن ذنبي تأخر زواجي لإصابة قديمة في

ساقي اليسرى تسببت في عرج دائم، ومن عادة الرجل المصري أن يبحث عن الكمال والجمال في فتاة أحلامه، وكل من حاول التقرب للخطبة والزواج لم يكن يبحث عن شريكة العمر بل كان يخطط لاقتناص امرأة عاملة تنفق عليه وتتبنى فقره، لم أعترض عليهم لهذا السبب لكن لعدم وجود أي طموح لديهم عن مستقبل الزواج، لم أجد بينهم من يناسبني، ولم أشأ أن أزج نفسي في مشروع فاشل لمجرد النجاة من شرك الوحدة بل على العكس فإن الوحدة أفضل من معاشرة رجل سيء الطباع وهذا ما تعلمته من تجارب صديقاتي المؤلمة ومعاناتهم بسبب التسرع في اتخاذ القرار وسوء الاختيار.

عرفت أن بقائي دون زواج حتى إن طال إلى أخر العمر أفضل من خوض معارك خاسرة أدفع فيها الثمن من عمري وصحتي وسعادتي، ورغم نظرات النساء التي لا تخلو من الشفقة والتي تحمل في طياتها اتهامات جارحة بأنني فتاة عانس، بل تجرأت إحداهن حين رفضت ابنها العاطل عن العمل وقالت: " أنت لا تستحقين النعمة التي أرسلها لك الله امكثي وحدك حتى

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٢ـ#

يأتي اليوم الذي يعثرون فيه عليك ميتة من رائحة تحلل جثتك .. هل تظنين أن أباك سيعيش معك العمر كله وأن أخوتك لن يجرفهم نهر الحياة؟ " تلك المرأة الحجرية لم تشعر بقسوة كلماتها إلا عندما أبصرتني أنهار وأبكي حينها اعتذرت وغادرت... أغلقت خلفها كل أبوابي ورفضت استقبال أي عريس آخر فقد تيقنت أن سوق بضاعتي كسد وأنني لن أحصل على فرصة مناسبة.

كنت في حاجة إلى أن أستريح من عناء الطريق قبل أن أستوعب المشهد الجديد وتلك النقلة المفاجئة التي لم أعمل لها حساب من قبل، ولأول مرة أنام في مكان غريب في حجرة غير حجرتي وعلى سرير غير سريري، وباغتني النوم من شدة تعب السفر أو جاء كتعويض عن الأرق الذي أصابني بعد موت أبي والخوف الذي لازمني من بقائي وحدي في المنزل.

نمت وأنا أتنفس عبير الزهور ورائحة البحر وأخرس عراك أفكاري وأستحضر صوت أمي الحاني وهي ترقيني من شر حاسد إذا حسد ومن شر النفاسات في العقد وتملس على رأسي وتمسد جسدي حتي أذهب في

عالم آخر بعيد عن الشغل والنساء والرجال وعبء الحياة بمشاكلها وضجيجها.

حين استيقظت في الصباح فتحت النافذة وفاجئني صخب البحر الذي اختلط بصفاء السماء كأنهما يتعانقان في لوحة سريالية لسلفادور دالي منظر فتن عقلي بروعته ولم أستطع أن أغادره دون الحصول على لقطة بكاميرا هاتفي، وأكثر ما شد انتباهي هو هدوء الشاطئ ففي مرتي الوحيدة التي زرت فيها الإسكندرية كان الشاطئ يعج بالناس بمختلف أعمارهم كأنهم يحاولون تسجيل حضورهم في تلك المسافة القصيرة ما بين ماء البحر ورمال الأرض، لم ألمح سوى رجل وحيد يجلس على صخرة مرتفعة بعض الشيء عن البحر يمسك صنارته في يده ممتد خيطها في عمق الماء وبجواره كلب صغير، حين دققت النظر اكتشفت أنه عمي الذي وعدني أن يشرح لي سبب عدم قدرته على العودة إلى مصر، عمي الذي لم يحك لي أبي قصته ولا أعرف كيف جاء إلى إيطاليا وتزوج وأنجب ثم أخيرًا أعثر عليه وحيدًا هكذا، أين أسرته وأين مشروعه الذي أسسه بسنوات

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٤ـ#

شقائه ؟ منذ جئت أمس لم أبصر له رفيق سوى هذا الكلب .

كانت لقطة جلوسه أمام البحر وبجواره كلبه من أجمل اللقطات التي حصلت عليها منذ هويت التصوير الفوتوغرافي، وشعرت بشوق يجرفني تجاه البحر كأن ثمة جاذبية بيننا كأنني ظللت أدور في مدار كامل حتى أصل إلى هذه اللحظة ولا أدري كيف انتهت خطواتي إلى هذا الجالس هناك بصمت .. بوحشة تحاوطه من الجهات الأربع .. بصبر مميت يترقب تحرك صنارته بصيد حتى لو كان زهيدًا، لعله كان شاردًا في خواطر ذهنه ولم ينتبه لوجودي لذلك كان أمامي وقت كاف لتأمل وجهه.. خصلات شعره الناعم الذي لازال يحتفظ بلونه الأسود الفاحم .. لمعة عينيه التي تكشف عن ذكائه الحاد.. هدوء أنفاسه التي توحي بأن شغف الحياة لم يغادره، حين انتبه للبخار المتصاعد من أنفاسي انتفض واقفًا كأنه يعتذر عن غيابه في أمواج أفكاره، القيت عيني في زرقة الماء وقلت :

- جميل البحر.

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٥ ـ#

هز رأسه وقال بحكمة رجل خبر أسراره :

- لا يعرف جماله الحقيقي سوى من جاوره.
- منذ متى وأنت تعيش وحدك؟
- وهل في اعتقادك أنني أعيش وحدي إن لي بيت وسط روما ولي أسرة وأصدقاء... لكن هذا المكان هو شرنقتي التي أختبئ فيها من انهيارات الخارج، أنا هنا منذ معرفتي بخبر وفاة أبيك.
- إذن لم أكن وحدي من عانيت فجيعة موته.
- كنت أعتبره كبير العائلة بعد وفاة جدك لكنه ذهب أيضًا ولم يبق من العائلة سوى أختي الوحيدة.
- عمتي ربي يبارك في عمرها .

قلتها وثقب الحزن روحي نظر لي بعطف وقال :

- أنا أكثر إنسان في العالم يُقدر ما أنت فيه لأننا تربينا على أن الأب هو سند البيت وعموده .. ظل أبي يقف في ظهري حتى انهيت تعليمي وحين أخبرته بقرار سفري كنت أعرف رفضه وعدم رغبته في البعد عنه وفي البداية حاول

إقناعي بالبقاء والرضا بوظيفة الحكومة لكن أمام إصراري تحامل على نفسه وقال جملته التي شجعتني على ما عزمت عليه بل رافقتني طيلة سنوات غربتي "هذه حياتك وأنت حر فيها ".

- هذا ما كنت أود معرفته لماذا بنيت مستقبلك على فكرة السفر؟
- أنا لم أخطط للسفر أو الهجرة ولم أسع للحصول على جنسية أجنبية وبمعنى أدق لم أرغب في الاستقرار والزواج بعيدًا عن بلدي.
- ولماذا حدث؟
- أماني لقد جئتِ للتو من رحلة طويلة دعينا نرحب بك أولاً .
- لكني أريد أن أعرف.
- ستعرفين كل شيء دعينا الآن نذهب إلى بيت العائلة لنتناول الغداء وتتعرفين على الأسرة وعلى كل ما تودين معرفته.

***

سوناتا لروما

عزة مصطفى #١٧#

من قال أن العائلات الأوربية عائلات غير مترابطة عليه أن يراجع أفكاره وأن ينظر إلى ما حل بالعائلات الشرقية وليحاول تذكر تاريخ أخراجتماع له بأسرته على الغداء دون انشغال بالهاتف وبالواتساب وبالفيس بوك، ففي الوقت الذي تهوى فيه الأسرة العربية من قمة الوحدة والتماسك إلى قاع التفرق والتفكك خاصة بعد شيوع ظاهرة الطلاق وانفصال الأبناء عن أحد الأبوين أو ربما الانفصال عن كليهما وانتقالهم إلى بيت الجد والجدة لاستئناف الحياة بيتم، لأن ببساطة الاثنان قررا أن يعيشا حياتهما مع شريك جديد مع مراعاة الأخطاء السابقة التي فرقت بينهما وتلافي الأسباب التي هدمت البيت، لكن بعد أن يتركوا مخلفات هزائمهم تدمر المجتمع فأي ذنب اقترفه ابن نشأ على شجار أبويه ونزاعهما على الحق والمستحق والتوافه من الأمور التي لا تستدعي كل ما حدث .

وفي نفس الوقت الذي تمتلئ فيه محاكم الأسرة بكثير من قضايا الخلع والنفقة وقرار الوصايا كان المجتمع الأوربي يتدارك جرائم التفكك الأسري ويسد فجوات تفاوت الأفكار بين الأجيال، ربما كان كل ما سبق مجرد

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٨ـ#

استنتاج خاطئ واجتهاد شخصي مني عمقه داخلي ما عشته مع صديقاتي من مشاكل الزواج والطلاق جعلتني أكاد أجزم أننا في طريقنا إلى هاوية الشتات، حتى الطعام الذي كنا نجتمع في أوقاته بفرحة اللقاء بعد يوم شاق من العمل فقد مذاقه وظهرت الوجبات السريعة لمجرد سد رمق الجوع بل حلت المكالمات الهاتفية محل اللقاءات والاجتماعات.

كل عام يأتي أغرب من العام الذي مضى ويزداد اتساع مسافات البعد بين أفراد الأسرة الواحدة حتى تختفي الحوارات وتتحول العلاقة إلى مجرد مجموعة من الأوامر واللوائح يمليها رب الأسرة على الأبناء، اختفت الطبلية التي كانت الأسرة تتجمع حولها متقاربين ملتصقين ببعضهم، وظهرت السفرة الحديثة بكراسيها المزخرفة باتساع استداراتها بتباعد الأواني والأيادي التي كانت تلتقي في الطبق الواحد فأصبح لكل واحد طبقه الخاص وكوبه الخاص وتجري الأوبئة والأمراض في المسافة الفاصلة بينهم ... كأننا كنا نعيش في رقعة أرضية واحدة ثم جاء زلزال قوي ومدمر ليشق الأرض

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ١٩ ـ#

إلى أجزاء عديدة ويشتت الجمع إلى فرق مختلفة ويذهب كل منا في طريقه .

ولأول مرة منذ وفاة أمي أشعر بدفء العائلة وهم يرحبون بي على مائدتهم، البخار الذي يتصاعد من الطعام أعاد لي شهيتي المفقودة ... نكهات الأكل الإيطالي تجذب المسافرين من بعيد، نظرات الود التي يتبادلونها توحي بعمق وقوة العلاقة بينهم، حاولت بما أمتلكه من مفردات اللغة الإيطالية التعبير عن سعادتي لكن عمي عفاني من عناء الحديث وترجم لهم ما كنت أرغب في توصيله، لمَّح لي أنهم يفهمون بعض العبارات العربية وعرفني بهم؛ زوجته إليسا التي ساندته حتى استطاع الوقوف على قدمية بعد سقوطه الأخير في منعطفات الغربة، ابنته سارة التي تشبه جدتي لأبي في الهيئة وملامح الوجه، كرستينا أخت زوجته التي تقيم معهم منذ وفاة زوجها وكان هذا بتشجيع من عمي كيلا تشعر بمر الوحدة والفقد، لوهلة تذكرت أيامي القادمة في بيتنا التي لا أدري إلى أين ستنتهي ففزت عبارة لأمي في ذهني وسمعت صوتها يردد في إذني " دعي الغد للخالق فلن يكون تفكيرك أفضل من لطف تدبيره ".

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٠ ـ#

استكنت لبعض الوقت ونحن نتبادل الأحاديث وعبارات المجاملة، تقمص عمي دور المترجم بقدر المستطاع، ولم يزعجني سوى جلوس كلبه الذي يناديه بأوجو معنا على المائدة فهذه هي المرة الأولى التي أرى فيها كلب يشارك أسرة طعامها، اعتدنا في بلادنا أن نأكل ونلقي فضلات طعامنا أمام البيوت للقطط والكلاب الضالة، وربما نرى بعض كبار السن يهتمون بشكل خاص بإطعام القطط والكلاب فيشترون أرجل الفراخ ويقومون بتوزيعها على الحدائق والميادين لتكون مائدة لهم، ومن الطبيعي أن يعبر من أمامنا رجل كبير في السن يتبعه مجموعة من الكلاب كأنهم يطمئنون على عودته بأنفسهم، وطيلة عمري لم تسمح أمي لأخوتي بتبني كلب في البيت وكانت دائمًا تردد " الكلب نجاسة ينقل ميكروب قاتل للإنسان والبيت الذي به كلب لا تدخله الملائكة وينقص كل يوم قيراط من حسنات صاحب البيت ".

رأيت عمي يدلل الكلب كطفله الصغير ويملس على رأسه وهو يساعده في تناول طعامه، كنت على وشك أن أنهض وأبعد يده عن الكلب خشية أن يُصاب بالمرض

لكني تذكرت أننا لسنا في مصر فمكثت مكاني أستمع إلى أحاديثهم التي لا أفهم منها سوى ما يترجمه عمي.

جلسنا بعدها في حديقة الفيلا لاحتساء القهوة انشغل الكلب فيها بمطاردة بعض العصافير، ركز عمي حديثه حول أخبار الأهل والمعارف فحكيت له عن أخوتي وعن أفراد العائلة ومن وافته المنية ومن تبقى من جيران جدي، وسأل عن اسم سيدة من العائلة ولاحظت وهو ينطق اسمها عينه تبرق بلمعة خاطفة كأن ثمة ذكرى ترتبط بها، ولعلمي أنها متزوجة منذ زمن بعيد لم أشك بثمة علاقة قديمة، فأخبرته عن الود الذي كان يربطها بأمي طيلة حياتها وعن احترام أبي لها وتقديره لزوجها.

انتهى النهار سريعًا وذهب كل واحد إلى غرفته لم يأتني النوم كما حدث ليلة أمس وكأن أصواتهم لاتزال تتردد في أُذني فأتخيل أن لكل واحد منهم حكاية وسر دفين في غياهب الذاكرة ... يطوي قلبه على صفحات من الماضي وربما لم يطلع أحدهم على كتاب الآخر.

وأنا التي عشت حياتي كلها كاشفة أوراقي لا أخفي شيء على أمي أو أبي ولا أطيق تخزين الأسرار وتحمل

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٢ ـ#

عبئها وحدي، لكن هذا لا يمنع أنني ككل البنات لديّ منطقة مغلقة لا أسمح لأحد بالاقتراب منها وهي منطقة الألم داخلي حين أرى نظرات الشفقة في عيون الناس أثناء صعودي إلى الميكروباص بصعوبة أو حين أهبط الدرج بعناء لم أخبر بها أحد، كما لم أخبرهم أيضًا بانتظاري لفارس الأحلام حتى يئست من مجيئه فصرفت الفكرة عن رأسي، أما أصعب أسراري التي لم أكشفها أمام أي مخلوق هي رغبتي في الأمومة لدرجة أنني أفكر في تبني طفل بشكل جاد لكنه قرار مؤجل لحين تستقر حالتي النفسية .

هذه هي الحقيقة أن لكل إنسان منطقة مظلمة يخشى ولوج الآخرين فيها، ولا أدري لماذا أشغل نفسي بقراءة الأسرار وكأني أقرأ الطالع أو أفسر تعرجات القهوة في الفنجان بعد احتسائه، لم تعلمني أمي تتبع أخبار الناس وعودني أبي ألا أتجسس على أحد لكن قراءة العيون والأفكار لا تدخل في باب التجسس، فقط أحاول فهم من حولي خاصة المقربين لي كي أساعدهم على تخطي واقعهم المرير أو أسمح لهم بعبور المسافات بيننا .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٣ـ#

في اليوم التالي قرر عمي العودة إلى البيت الآخر على البحر بعد تناول الغداء، لعله لاحظ حرجي من عائلته ورأى أنني لن أكون بطبيعتي بينهم أو أراد أن أنعم بهدوء البحر مثله لنداوي جراحنا معًا، وكأنه قرأ أفكاري فقال كي يغلق باب الوساوس :

- اعتدت أن أقضي نصف أيام الأسبوع هناك .

سألته بدهشة :

- وحدك؟
- نعم .
- وكيف تترك زوجتك وابنتك وحدهما وتذهب لماذا لا تأخذهما معك وكيف تتركك إليسا هكذا بسهولة؟

ضحك من سذاجة السؤال وقال:

- زوجتي إليسا تثق بي وتعلم أن القرب لا يزداد سوى بالبعد والمحبة تشتعل بالغياب أحيانًا كما أنها تستوعب كل الأزمات التي مرت بي وتتركني أغسل أحزاني في البحر.

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٤ـ#

لا أدري كيف تمتلك زوجته المقدرة على تحمل هذا الوضع؛ كانت أمي حين يغيب أبي ويتأخر بعض الوقت خارج البيت ينهشها القلق والتفكير حتي يعود وبمجرد دخوله من الباب يشتعل شجارهما عن سبب تأخيره غير مصدقة ما يقول ويبرر به غيابه ومتهمة إياه بزواجه من امرأة أخرى، وبالكاد أخفي غضبي أمامها حين أسمع دفاعه المستميت عن نفسه كي يوضح السبب الحقيقي وراء تأخره، تفعل هذا حتى لو كانت تعلم بعمق مشاكله وحتى لو كانت روحه تنفذ من ثقب إبرة، ثم في النهاية تخبره بمدى حبها له وخوفها عليه فيبتسم في رضا، ربما يفسر الفارق بينهما اختلاف الطباع والثقافات لكن اليقين الوحيد في الأمر أن عمي وزوجته يعيشان قصة حب من نوع آخر لا نعرفه في مصر .

عندما حل الليل بظلامه وبرده جلستُ بجواره وهو يشعل المدفأة، بريق النار المنعكس عليه كأنها هالة تحيط بجسده ليتحول إلى قديس أو راهب، وجهه ذكرني بوجه جدي حين كان يجمعنا في باحة بيته المكشوفة للسماء فيشعل البابور الجاز ليدفئ المكان ونلتف حوله

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٥ـ#

ليحكي لنا حكايات الزمن القديم، وكأني استعدت رغبتي القديمة في سماع الحكايات قلت له :

- كلي آذان صاغية.
- وما الذي تريدين سماعه؟
- كل شيء منذ قرار سفرك وحتى هذه اللحظة .. لم يحك لي أبي الكثير عنك بل لاحظت أنه يتوقف عن الحديث حين يأتي ذكرك، وإذا سألته بعد كل اتصال لك من المتصل يقول شخص عزيز ثم يغرق في الحزن الدفين .

لمحته يلتقط دمعة مارقة حين قلت ما قلته عن أبي وظلت الدموع طافية على صفحة عينيه التي ازداد بريقها وجاء صوته من بعيد :

- لم يكن مجرد أخ كان سندًا لي غضب مني حين تدخل لأتزوج من قريبة لنا، والحقيقة أنها لا ينقصها شيء كاملة الأوصاف مثقفة جميلة مرحة شخصية تجبر كل من يتعامل معها على الانتباه لها والتفكير فيها، وافقت في باديء الأمر لكني تراجعت حين علمت بقصة حب تربطها

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٦ ـ#

بشخص آخر ولم أشأ أن أكون سببًا في كسر قلبين متحابين، لكن أخي الطيب لم يعرف الحقيقة واعتقد أنني تعمدت إحراجه أمام العائلة .

تذكرت اسم السيدة التي ذكرها أمامي وخمنت أنها هي المقصودة في كلامه وما رأيته في عينيه يؤكد صدق رؤيتي وأنه فعلًا تأثر بها لكن كان يوجد ثمة عائق في طريقه إليها، استدركت وقلت:

- ولماذا لم تشرح له ما حدث ؟
- حاولت لكنه لم يفهمني وازداد غضبه حين أخبرته بقرار بقائي في إيطاليا وعدم العودة لمصر إلا كزائر أو سائح ولم أعرف كيف أسترضيه حتى جائني نبأ موته.

هذه المرة ترك الدموع تنهمر من عينيه كالمطر حين تثقل به سحابته لأنني سبقته بالبكاء حين جاء ذكر أبي؛ كان لأبي حضور قوي لا ينساه من يعرفه، أما أمي فكانت تتعامل مع الجميع بمحبة وود كأنهم أفراد من عائلتها لا تبخل على أي أحد بالنصيحة أو بالمساعدة موتهما لم يفجعني وحدي بل فجع الجميع .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٧ـ#

انتبه على شهقات بكائي فجفف دموعه وهدأني، جلست ساكنة أتذكر ما كان يفعله أبي حين أتذكر أمي وتجهش نفسي بالبكاء كان يقول: " إن بكاءك يحزنها ويؤرقها في القبر هيا امسحي دموعك بسرعة واطلبي لها الرحمة والمغفرة " فدعوت لهما وآمن عمي على دعائي، بعدها أحضر علبة من الشيكولاتة وجلس جواري ووضع العلبة أمامي، التهمنا الشيكولاتة معًا ولا أدري كيف عرف أن هذه من عاداتي السيئة وأنا متكدرة نفسيًا ألتهم الشيكولاتة بلا حساب أو عدد، قال معقبًا حين لاحظ اندهاشي :

- الغربة تدفعك إلى أي نوع من الإدمان وقد أدمنت الشيكولا والحلويات بجميع أشكالها .
- وأنا أيضًا أدمنهم .

احمر وجهه من دفء النار والطاقة التي سرت في دمه بفعل الشيكولاتة، هدأتُ وشعرتُ بالأمان وأنا أجلس بجواره شعور لم يكن يأتيني سوى في حضرة أبي فخطر في بالي أننا خسرنا وجوده في مصر لزمن

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٢٨ـ#

طويل وجرى السؤال على لساني كسهم حاد فلت من قوسه بعفوية :

- لماذا تركت بلدك؟
- أنها قصة طويلة أو بمعني أصح مؤلمة.
- عندما عرضت عليّ المجئ إلى هنا وافقتُ دون تفكير ولم أنشغل أو يدور في ذهني أي سؤال عن حياتك في الغربة .. جئت لمجرد التنفس بعيدًا عن المكان الذي يحمل رائحة أبي لكني الآن أشعر أن أبي يعيش داخلك وامتداده يتجلى فيك.

لم أقل له أنني رأيت فيه انحناءة ظهر أبي وهو يشعل النار في المدفأة، ولم أقل أن أبي تمدد داخله واستطال حتى صار كشبح أسطوري يكاد يخطفني ويذهب إلى عالمه السحري، وأنا لم يسحر طفولتي سوى الحكايات التى بدأت مع جدي وربتني بها أمي والتقط خيطها أبي فكنا نسهر طوال الليل يحكي لي أحداث حياته الماضية.

وربما جئت هنا لأغزل حكايات الماضي بالحاضر حكايات جدي عن البيوت المهجورة والأشباح التي

تسكنها وحكايات أمي عن الأميرات الفاتنات وحكايات أبي عن الرجال الشجعان بحكايات عمي عن الوقائع المؤلمة في حياته والتي لم أشهدها لأنه سافر قبل ميلادي بعام .
قال بنبرة توحي بعمق الوجع :

- أتعلمين كم مضى عليّ وأنا معتزل الناس وغارق في الصمت؟
- لكن لك عائلة ألا تتحدث معهم ؟
- بلى في نطاق محدود .
- لماذا لازمتك هذه الحالة ؟
- بسبب تراكم الخسارات حتى استحالت كجبل يجثم فوق صدري وكانت الخسارة الأخيرة أشدها وقعًا على نفسي؛ خسرت مشروعي وجزء كبير من مالي الذي استنزفت عمري في جمعه.
- كيف حدث هذا ؟
- بعد نجاح مطاعم البيتزا الخاصة بي جاء فيروس كوفيد ليوقف الحياة كلها في إيطاليا ويشل الحركة وطوال فترة الحظر كانت الخسارة كبيرة مقابل لا شيء فأقنعت نفسي بتصفية المطاعم

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٣٠ـ#

خاصة أنني وصلت لسن المعاش ولن أستطيع ممارسة نشاطي حتى بعد فك حظر التجوال.

- لحظة ماذا قلت ؟ وصلت لسن المعاش أليست هذه المطاعم ملكية شخصية ؟
- بلى لكن القوانين في إيطاليا مختلفة عن مصر فهي تفرض على كل العاملين التقاعد بعد سن الستين لإتاحة الفرصة لعمل الشباب لذلك بعت المحلات بالخسارة.
- ولماذا لم تعد إلى بلدك ؟
- لم يبق لي شيء فيها لأعود إليه لم يترك لنا أبي عقارات أو زرع أو أرض كنا فقراء حتى حلمي هناك ضاع وتلك قصة أخرى سأحكيها لك فيما بعد.

أومأت برأسي لمعرفتي أن أبي لم يرث شيئًا عن جدي سوى كرم العرب وشهامة الرجال، لكن لكل نهاية بداية وأمام إصراري على معرفة البداية جلب مُحضر القهوة من خزانة قريبة وصنع قدحين من القهوة، قرَّب الفنجان من أنفه كأنه يستنشق عطر قديم سيذهب به إلى عالم

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٣١ـ#

آخر عالم سينسيه وجوده ويلف به في سراديب الذاكرة فجاء صوته من هناك حالم دافئ :

- أثناء المرحلة الثانوية كنا نلتقي أنا وأصحابي أمام دكان أبي في حي الحميات نتسامر في وقت الفراغ ونتبادل الأخبار والمعلومات التي تتعلق بأحوال البلد، لم نملك رفاهية الجلوس في المقاهي أوالنوادي وكانت الطرق والميادين العامة أماكن تجمعنا، وأبي رجل طيب لا يفوته أن يرحب بنا ويشارك فرحتنا باللقاء، ورغم وجودنا في الشارع ومرور البنات من أمامنا طوال الوقت لم يجذبني النظر إلى أي واحدة أو الحديث عنهن حتى رأيت فتاة بكل الصفات التي كنت أسمعها عن ست الحسن والجمال؛ البشرة البيضاء القطنية والعيون الملونة والشعر الحرير ليس جمال الملامح فقط بل مشيتها أناقتها عطرها رقتها أثناء الكلام، حين تمر أمام الدكان أغيب عن العالم وأحلق على أجنحة الحمامات في السماء، ثم عرفت أنها تسكن مع جدتها في نفس العمارة التي بها دكان أبي وأن عائلتها تقيم

في المنصورة وأنها جاءت لتُعين جدتها على سنوات الشيخوخة وأنها في مثل عمري وفي المرحلة الثانوية .
وكما يحدث في الأفلام العربية أشتعل حبها في قلبي من أول نظرة وظل يؤرقني ليل نهار حتى تصيدت الفرصة المناسبة للحديث معها وبُحت لها بمشاعري، فوجئت بخجل لم أعرفه من قبل وفرحة مباغتة في عينيها وتلجم لسانها حين طلبت منها اللقاء عند النهر بعيدًا عن العيون، وفي الموعد المحدد ذهبتُ وأنا غير متيقن إن كانت ستجئ أم سيمنعها الخجل ولم تمض لحظات قليلة حتى ظهرت أمامي كما يظهر القمر في السماء، وجدت نفسي أغرق في عينيها العسلية أغرق لدرجة أنني تمنيت أن أخطفها على حصان مجنح وأهرب بعيدًا عن دنيا البشر وهل يمتلك البشر هذا الجمال، وحدثني عقلي أنها جنية مسحورة أو أميرة مسجونة في هذا البلد، تبادلنا حديثًا طويلًا شجعتني فيه على

سوناتا لروما

عزة مصطفى #٣٣#

الاجتهـاد والمـذاكرة لإنهـاء رحلـة التعلـيم، ووعدتها أن أجتهد قدر استطاعتي.
ومر العام سريعًا وحصلت على دبلوم الزراعة وحصلت هي على دبلوم التجارة وفاتحت أبوي برغبتي في خطبتها، رأت أمي أن تخبر جدتها لتحجزها لي ورأى أبي أن أنهي فترة التجنيد أولًا، بالطبع كان قراره منطقيًا فلن أستطيع ممارسة أي عمل قبل أن أقضي التجنيد، وحصلت أمي من جدتها على شبه وعد بالموافقة.

قلت بحماس:

- قصة جميلة ولماذا لم تنته النهاية السعيدة؟
- بمجرد التحاقي بالجيش ظهر شخص عكر صفو حياتي .

تنهد بعمق كأنه يستعيد مشاعر ثقيلة... نظرت في علبة الشيكولاتة فوجدت قطعة أخيرة قدمتها له لكنه أشاح وجهه الذي اكتسى بالألم لحد عدم القدرة على النظر في

عيني، غرق في الصمت للحظة فخشيت أن أفقد باقي الحكاية، قلت على استحياء:

- ومن هذا الشخص؟
- طارق نعم طارق لازلت أذكر اسمه وشكله وحتى صوته الغليظ .
- وما علاقته بالقصة ؟
- كان قريب عيشانة عمها حسب ما قالت لي .
- اسمها عيشانة أول مرة أسمع هذا الاسم .
- وكانت أخر مرة أسمع صوتها الملائكي، كان طارق هذا في مقام والدها المتوفي وحل محله بعد عودته من الكويت.. تصور بما جناه من مال في ضواحي الغربة أن العائلة أصبحت ذات مكانة اجتماعية مرموقة ولا يناسبها شخص مثلي وأقنع أمها بذلك وكان القرار الأخيرأن تعود عيشانة إلى بلدها المنصورة وأن تنكر معرفتها بي... وحين عدت في أول إجازة من الجيش سألت عنها ولم يخبرني أحد بالحقيقة وتحججوا بأكاذيب واهية وإجازة بعد إجازة اكتشفت الحقيقة

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٣٥ـ#

بمحض الصدفة وانتهت فترة تجنيدي ولا توجد أفكار في رأسي سوى أفكار السفر .

- هل كنت تهرب من حبك لها ؟
- ربما وربما العكس كي أعود بالمال الذي يؤهلني أن أكون بنفس مستوى عائلتها، صار كل هدفي وطموحي جمع المال لأتمكن من شراء شقة وعربية وأكون جديرًا بها ... كانت هذه هي بداية اشتعال فكرة السفر في رأسي.

لصوته الحزين نبرة دافئة تسري في أوصالي فيأتي معها النعاس نمت في مكاني على الأريكة ولم أشعر بالغطاء الثقيل الذي أحكمه حولي ولا بانسحابه إلى عالمه الآخر.

♠ / ♠

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٣٦ ـ#

الـفـصل الـثـانـي
ألبوم الذكريات

#ـ سونـاتـا لـرومـا ـ
عزة مـصطفـى ـ ٣٧ـ#

وكأنه يرتب حياته في ألبوم صور كتاريخ يسجل به لحظاته الجميلة، وجد نفسه يجلس وحده وقد هاجت الذكريات داخله بعد تذكره لعيشانة أحضر الألبوم وأخذ يقلب فيه، لكنها صورة وحيدة لها القدرة على أن تغسل همومه مهما كانت، أخرجها من بين الصور واحتضنها بين يديه وصدره ؛ أنها صورة لأبيه وأمه وهو يجلس بينهما، أمه تلك المرأة التي رأى في ملامحها قوة المرأة الفرعونية ورقة الأنثى العربية تلك التي رضع منها لبن القوة والتحمل فمضت حياته رغم كل ما فيها من هزائم لم يكسره حبيب ولم يغلبه عدو... ابتعد نعم ابتعد وله أسبابه الخاصة أو لعله لم يجد سبب للقرب بعد موت أبيه ومن بعده أمه... شعر أن الوطن تركه ورحل ولم يعد يوجد ما يعود لأجله.

وكأن أمه تتجلى أمامه وتمد يدها لتصافحه، نظر إليها من خلف دموعه وهو يتذكر حضنها الدافئ حين ودعته في المرة الأولي على عتبة الدار وأعطته حقيبة الزاد بعد أن وضعت فيها ما استطاعت من خيرات البيت والدكان وصوت دعائها يلاحقه حتى غاب عن ناظريها ومن بعدها كلما تعسر وسقط في الهموم يظل الدعاء

يتـردد فـي إذنــه فيعتـدل واقفًـا ويشـد ظهـره ليواصـل الركض .

انتقلت عيناه إلى وجه أبيه وشعر بشوق للحديث معه كما في الأيام الخوالي حديث فضفضة بكاء شجن ندم أي مسمى يُخرج به مخزون الوجع بعيدًا عن الشامتين والحاقدين والحاسدين لن يجد من ينصت إليه ويملس على وجعه أفضل من أبيه، تمعن في صلابة ملامحه وفاضت عيناه وقلبه بثقل السنين :

لن أنكر أنك حاولت منع كل ما حدث لي فأنت الوحيد الذي حاولت صرف فكرة السفر عن رأسي، حاولت إقناعي بانتظار الوظيفة والاكتفاء براتب الحكومة كما فعل أخي، لم أستطع وقتها أن أبوح بانكساري وأقول لك أنني لم أرتب موعد مع السفر بل السفر هو الذي رتب موعده معي بعد ضياع عيشانة، كانت أشبه بقطعة طين صلصال تلين بكلماتي وتتشكل بنظراتي ويرسو حبي في قلبها كما غشى حبها قلبي لكن مع أول إعصار صادفها جرفها بعيدًا عني... لم تسمع صرخاتي وأنا أغرق وأستنجد بها ولم تبصر دوامات الماء التي

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٣٩ـ#

تبتلعني ولم تدرك ما فعلته بي لأنها ببساطة استسلمت ولم تقاوم.. لعلها أرادت ألا تقاوم لعلمها المسبق بعدم قدرتي على الوفاء بمتطلبات الزواج.. لعلها أرادت ألا تهدر عمرها مع فقير مثلي، لازلت أذكر أخر مرة رأيتها حين اشتد المرض على جدتها جاءت في زيارة عابرة كأي غريب، وحين عادت مع قريبها هذا رأيت وجهها من نافذة السيارة كشمس حجبها المغيب وتوارت خلف السحب ولم تظهر للأبد ذهبت عيشانة ضاعت عيشانة.

وقتها لم أرغب في امتلاك شيء في هذا الكون سوى امتلاك سيارة مرسيدس كتلك التي خطفتها مني لأطوف بها شوارع بني سويف وأسافر بها مدينة عيشانة لترى أن في مقدوري اقتناء سيارة مثلها وليس في مقدورها أن تقتني حب مثل حبي، لذلك سافرت يا أبي لأنسى عيشانة لأعود بالسيارة والهدايا لأملك مال كثير أبني به بيت كبير بقدر حبي لها، أما ترتيب السفر فأنت تعرفه تمام المعرفة فقد ادخرت راتبي الذي كنت أحصل عليه من الجيش، وبعد انتهاء مدة التجنيد استطعت بمساعدة بعض الأصدقاء شراء تذكرة طيران وتأشيرة لألمانيا،

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤٠ ـ#

ولك أن تتخيل ابنك في ألمانيا بحذاء الجيش الميري وحقيبة السفر باهتة اللون ممزقة الأطراف وقد خيطتها أمي بخيط أسود سميك يلفت نظر كل من ينظر إليه وأنا أجوب شوارع ألمانيا سيرًا على قدمي بحثاً عن بيت الشباب لأسكن فيه لكنه لم يسعني ويأويني أكثر من ثلاثة أيام بلياليهم بعدها لم أجد ملجأ لي سوى الشارع .
هل كان في تخيلك أن يحدث هذا لابنك القادم من صعيد مصر؛ يفترش الرصيف لينام ولا يجد ما يسد به رمق جوعه سوى ما أعطته إياه أمه يحرص عليه كحرص المسافر في الصحراء على شربة ماء، قضيت ليلة طويلة في حديقة مكشوفة وكادت عروقي أن تتجمد من شدة البرد رغم ارتدائي لكل ملابسي وبمجرد شروق الشمس انطلقت في كل مكان أبحث عن عمل، ولم أكن أعرف من اللغة الألمانية سوى كلمة "Einberf " وتعني عمل أي عمل لا يهم الأهم أن أجد المال الذي أعيش به في أرض الغربة، مكثت لأيام لا أقول غيرها وكلما رأيت أحد أنطق بها كببغاء يردد كلمة اعتاد لسانه عليها حتى أخبرني أحدهم بلغة إنجليزية رديئة أن أتوجه إلى السوق الرئيسي في المدينة فالتجار يحتاجون إلى

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤١ـ#

حمـالين.. نعـم يـا أبـي ابنـك الـذي انفقـت عليـه شـقاء عمـرك.. الـذي تعلـم فـي المـدارس والـذي كنـت تفخـر بـه بين أقاربك في جنـوب الصـعيد عمـل حمـالاً ليـوفر أجـرة السـكن، كنـت أعمـل يـوم بيـوم ولا أشـتري سـوى فتـات الطعـام حتـى أستأجرني تـاجر يهـودي لأعمـل كل شـيء فـي محـل الخضـروات الخـاص بـه فأحمـل البضـائع وأنظـف المحـل وأبيـع للزبـائن وبعـد أن استنزفني لشـهر كامل طغت عليه طبيعتـه اليهوديـة وطردنـي ولـم يعطنـي الأجـر المتفـق عليـه بحجـة أنـه آوانـي فـي دكانـه وتركنـي آكل فتات الطعام وهو المتبقي من الفاكهة التـي لا تُبـاع ؛ كانت هذه هي الصفعة الأولى في الغربة، لم أعرف لمن أشكو ولمن ألجأ فأنا الغريب بلا وطـن والوحيد بـلا أهل أو سـند ولا أعـرف حقـوقي كمـواطن أجنبـي ... ركلـت الأرض بغضـب ومضـيت فـي طريقـي أبحـث عن عمـل بعيدًا عن السوق وعن اليهود وعن المغتربين مثلـي وفـي أثنـاء اللف والدوران في الشوارع قابلت رجل أعرفه من بلدنا من جيراننا في حي الحميات لعلك لا تـذكره يـا أبـي لكنـي سأظل أذكره طيلة عمري "رأفت المصري" الـذي كان سببًا في توجيه بوصلتي إلى إيطاليا.

#ـ سـونـاتـا لـرومـا ـ

عـزة مـصطفـى ـ ٤٢ـ#

عرفت منه إنه يعمل في تجارة السيارات المستعملة وكانت في ذلك الوقت ١٩٧٦ من التجارة الرابحة لكنها تخضع لقوانين البلاد فكان يشتريها من ألمانيا ليبيعها في إيطاليا، ويجب قبلها أن يسجل السيارة باسم الشخص المشتري وهذه المرة وجد فيّ الثقة التي تؤهلني لأن يسجل السيارة باسمي فوافقت أن أذهب بها إلى إيطاليا بعد أن يحصل لي على تأشيرة وتذكرة سفر .

وللمرة الأولى أركب القطار ليس كقطاراتنا التي تمشي تئن من فرط الاستهلاك بل قطار به سرير وثير ودورة مياه مجهزة بكل شيء وبوفيه به أشهى أنواع المأكولات، كنت قد قضيت قبلها أيام دون طعام فأكلت لحد الشبع ووصل القطار في مدة أقل من مجيئك من محافظة سوهاج إلى محافظة بني سويف، وطلبت من العمال أن ينزلوا بالسيارة من القطار، ووقفت أمام باب المحطة في انتظار صاحب السيارة حتى جاء واستلم سيارته وأعطاني عمولتي التي كانت كافية أن أبحث بها عن سكن للمغتربين ليس سكن بالمعنى الذي تعرفه أربعة جدران بباب مغلق ولكن سكن عبارة عن سرير في غرفة بها ثلاثة أشخاص في شقة تتسع لعشرة

رجال من أمثالي، وهذا السرير لا تتعدى مساحته متر في مترين كان بمثابة جنتي فقد احتضن جسدي بعد شقاء أيام مضت من النوم على الأرصفة وعلى أرضية دكان اليهودي.. لعله يشبه قبرك الذي احتوى جسدك بعد شقاء العمر وصار جنتك في عالمك الذي تستكين فيه.

وبدأت رحلتي في إيطاليا عملت عامل في مطبخ أحد المطاعم أغسل الصحون وأنظف الأرضيات، أعمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة لمجرد توفير ثمن الطعام وأجرة السرير ومع مزيد من الجهد تدرجت لمساعد طباخ وكانت بمثابة نقلة كبيرة في تاريخ غربتي لأنني تعلمت أسرار الأكل الإيطالي ونكهاته المميزة، وبعد فترة حصلت على وظيفة طباخ في مطعم كبير ومنذ هذه اللحظة صار لديّ فائض أدخره وخطة أرتب فيها زيارة لبني سويف.

هل تذكر خطاباتك لي يا أبي لعلك لا تعلم أنها كانت بمثابة إكسير الحياة بالنسبة لي طيلة أربع سنوات هي مدة غيابي عنك لم أستمد فيها القوة والطاقة سوى من تلك الخطابات التي كنا نتبادلها أنا وأنت وبعض

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤٤ ـ#

الأصدقاء، لا أشعر بالملل من قراءتها كل ليلة قبل النوم رغم عودتي اليومية منهك متعب ومستنزف فتعطيني الأمل في شروق شمس يوم جديد أصحو فيه بلا تعب أو إرهاق، أربع سنوات مضت بطولها حتى استطعت توفير ثمن التذكرة وبعض الهدايا للأهل والأصدقاء كانت حصيلة شقاء السنوات الأربع وكل أمنيتي أن أشم رائحة تراب الوطن وأدفن نفسي في أحضانك لأنسى كل ما مر بي بعيدًا عنك لأنسى العمر الذي هُدر حتى استطعت الوقوف على قدمي .

ولم أفقد الأمل في البحث عن عيشانة بل راودني إحساس كاذب أنها ربما تكون تحررت من سطوة قريبها طارق وتنتظر عودتي، لا أدري من أين جاء هذا الخاطر في رأسي سوى أن الروح تتشبث بأسباب الحياة حتى عرفت أنها مجرد أوهام في رأسي وأن عيشانة واحدة من ملايين النساء التي تستعين بذاكرة النسيان وارتضت بزوج غيري .

رغم الصدمة التي سببتها معرفتي بالخبر لكني لم أندم على قرار سفري صحيح أنني لم أحقق حتى تلك اللحظة

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤٥ ـ#

ما سافرت لأجله وهو جني المال أو نسيان عيشانة بل على العكس اكتشفت أن الغربة والوحشة عمقت حبها في قلبي وأنني تألمت هناك أكثر من ألمي هنا لكن بعد ما وصلني عنها لم أعد أرغب فيها أو حتى في سماع اسمها، قررت بعدها أن أعود لإيطاليا من أجل ذاتي من أجل شبابي الذي لم أعشه ومن أجل تحقيق طموحاتي التي توقفت عند حبي الأول .

وعدت يا أبي وتعرفت على ليزا ولا أدري ما علاقة قلبي بالجمال لماذا يأسرني لهذه الدرجة ؟ ولا أتذكر أهي التي وقعت في طريقي أم أنا الذي ذهبت إليها بقدمي كل ما أتذكره أن جمالها لا يوصف بكلمات أو حتى بقصائد الشعراء... ولا أدري كيف تم الزواج بهذه السرعة وكيف وافقت عائلتها دون أن تبدي أي اعتراض على زواج ابنتهم من أجنبي مصري . ولازلت أذكر اتساع حدقتا عينيك حين جاءت معي في الزيارة التالية لدرجة أنك ضحيت بكل مدخراتك لتشتري لها ذهب ذهب كثير بقدر ما يليق بجميلة مثلها... استعدت معها ثقتي في ذاتي أو ربما رغبتي في الحياة.. الحياة التي عادت معها فتحمست وعملت في

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤٦ ـ#

أكثر من مطعم، واستطعت تجميع مبلغ كبير أقنعني أبو ليزا بأهمية استثماره في مشروع تجاري ولأنه إيطالي أبًا عن جدًا فقد وثقت في أفكاره وتركت له حرية اختيار المشروع وتنفيذه وتركت له كل مدخراتي، كان حبي لليزا يعميني ويصمني عن كل ما تربيت عليه من وجوب الحذر والأخذ بالاحتياطات اللازمة للأمن والسلامة بل فعلت ما هو أخطر من ذلك فقد اشتريت شقة وكتبتها باسمها، وبعد ميلاد ابنتي صابرينا حدث ما كنت تخشاه وحذرتني منه فقد طردتني من حياتها وشقتي وأكمل أبوها الكارثة بأن استولى على مشروعي ومالي حتى ابنتي وأول فرحتي حرمني من رؤيتها .

وعدت إلى الصفر إلى نقطة البداية مجرد رجل غريب وحيد وفقير يبحث عن مكان يستأجره ليأوي خيباته ... عدت بقلب خاوي وظهر مكسور لعل نقطة الضوء الوحيدة وسط هذا الظلام هي بقائي على رأس وظيفتي وتميزي في فن الطبخ ومنها استطعت الوقوف على قدمي من جديد، لكن قلبي الظمآن ظل يبحث عمن يرويه فتعرفت على سولانا المغتربة مثلي التي جاء بها طموحها من أسبانيا إلى إيطاليا لتعمل وتدرس وربما في

حقيقة الأمر لتبحث عن حبيب بعد فشل تجربتها الأولى، لكن ما خلفته ليزا في قلبي ومن قبلها عيشانة جعلني أفقد الثقة في كل النساء، و رغم تدفق نهر حبها للدرجة التي غمرتني فيها بالدفء.. للحد الذي يجبرني على نسيان ما مضى لكني لم أعد أثق في النساء فلم أفكر بالزواج منها، ومنَّت هي نفسها بالزواج مني بل صارت فكرة زواجنا حلم من أحلامها التي تسعى وراء تحقيقها وحين تيقنت من عدم جدوى محاولاتها رحلت في هدوء بعد ثلاث سنوات من الحب والارتباط ، رحلت دون أن تترك رسالة وداع فقط فوجئت في أحد الصباحات باستقالتها من العمل وعودتها إلى بلادها .

لم أنكسر هذه المرة كما حدث في الماضي فقد درسنا في مدرسة الزراعة أن النبات الذي يتحصن من الآفة لا يموت ولا يذبل وأنا قد تحصنت من مرتين سابقتين، حاولت هذه المرة أن أشغل فراغ سولانا بالدراسة فالتحقت بالجامعة الإيطالية للحصول على بكالوريوس الزراعة وحاولت التوفيق ما بين الدراسة والعمل، حاولت قدر جهدي كي أعود إليك حاصل على شهادة عليا كي تفتخر بي بين معارفك وأصدقائك وتقول عاد

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٤٨ـ#

البشمهندس سعد سافر البشمهندس سعد لكني لم أستطع مواصلة المشوار إلى أخره لأن مواعيد الدراسة تتعارض مع مواعيد العمل ولو تفرغت لها وتركت العمل سأتضور جوعًا . كان عليّ أن أختار وأن أحدد هدفي إما العمل أو الدراسة ولأني بلغت عقدي الثالث كان الاختيار واضحًا لا يحتاج إلى تفكير اخترت العمل وتركت الدراسة، واستطعت هذه المرة توفير مبلغ كبير واستجبت لنصيحتك وعدت لأشتري قطعة أرض على كورنيش النيل وأبني عمارة كبيرة لتسكن فيها أنت وأمي لتستطيع استقبال أقاربك القادمين من الصعيد بأريحية لتؤجر شققها وتعيش من ريعها وترتاح من عناء العمل في دكان البقالة ليل نهار.

رأيت الفرحة في عينيك لمحت الامتنان في وجهك كأنك تقول لي لم يضع عمرك في الغربة وعمري في الانتظار هباء، وبعد أن عشنا الحلم الجميل لعام وبعض عام ضعت مني رحلت وأنا بعيدًا عنك رغم علمي بمرضك لكن عقلي خانني فقلت لنفسي أنه قوي وسيقاوم ويعود إلى حياته كما في الماضي ولم تعد عدتُ أنا لأتلقى العزاء وأعتذر لك عن غيابي، وبعد أن سكبت

دموعي وقلت ما قلته من كلمات الندم تركت أمي والأرض بأمل أن أعود إليهم، سافرت بعدها يشطرني القلق إلى نصفين نصف على أمي ونصف على مشروعي الذي لم يكتمل وكي أقطع مسارب القلق قررت هذه المرة أن أوفر المال الكافي لبناء الأرض ولرعاية أمي، واتخذت أجرأ خطوة في حياتي وقررت أن أعمل لحساب نفسي فافتتحت أول مطعم في مشوار كفاحي .

كنت في البداية في غاية السعادة لكن مع الوقت تفاقمت خسارتي لعدم فهمي لطبيعة العمل الإداري فقد كان في اعتقادي أن سر نجاح العمل هو جودة الصنعة وهذا ما تعلمته منك ومن أمي ولم أعمل حساب لفرق الثقافات والأمكنة وأن أي مشروع يحتاج إلى دراسة متكاملة تشمل الموازنة والدعاية والعمالة والمكان ومتطلبات الزبون ثم اخيرًا تأتي جودة الصنعة، وفي غمرة انشغالي نسيت أمي التي لم تحتمل فراقك ولحقت بك بعدها نسيت الأرض وتلاشى حلم العودة.

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٠ـ#

كأنه رأى وجه أبيه يتكدر شعر أنه حمله ما يفوق قدرته على التحمل، اعتذر بلطف وهو يحتضن الألبوم ويمني نفسه بحلم عابر يلتقي فيه بالغائبين .

♠ / ♠

#ـ سوناتا لروما ـ
عزة مصطفى ـ ٥١ ـ#

الفصل الثالث
مرفأ الأيام

كانت غفوة قصيرة استيقظت بعدها لأجده يجلس في هدوء يقلب في ألبوم صور وكأنه مسافر في عالم آخر غير هذا العالم، اقتربت منه فلم يشعر بي نظرت إلى الصورة التي شرد عقله معها فوجدتها صورة زفافه، قلت :

- جميلة .

انتبه إلى وجودي بلفتة مفاجئة، فقلت:

- حدثني عنها .. كيف عرفتها؟

قال وعينه لا تبتعد عن صورتها :

- إليسا هي وعد الله لي بالنجاح بعد كل إخفاقاتي .. هي الشمس التي أشرقت في حياتي.. هي عروسة البحر التي كنت أنتظر خروجها من أعماق البحر في رحلات صيدي كسمكة في خيط الصنارة.. هي نجمة تتوهج في ظلمة سمائي لتبدد ظلام روحي.. هي الكتاب الوحيد الذي قرأته في حياتي وفهمت صفحاته وحفظته عن ظهر قلب .
- لم أكن أعلم أنك شاعر .

قال بدهشة :

سوناتا لروما

عزة مصطفى #٥٣#

- لم أكتب الشعر في حياتي ولم أعرف منه سوى ما سمعته من صديق لبناني مقيم هنا وكان زبوني المفضل كان دائمًا يردد قصيدة لشاعر أظن أن اسمه نزار القباني حتى حفظتها عن ظهر قلب.
- وهل يجهل أحد نزار القباني؟
- اعذريني فلم أقرأ كثيرًا في الأدب لكن كلماته عُلقت في ذهني ربما لتوافقها مع حالتي العاطفية في ذلك الوقت.
- أريد أن أسمعها.

نظر في عيني كأنه يجدف بقاربه في بحر ذكرياته وقال بشجن :

سأقول لك أحبك

حين تنتهي كل لغات العشق القديمة

فلا يبقى للعشاق شيء يقولونه .. أو يفعلونه

عندئذ ستبدأ مهمتي

في تغيير مجاراة هذا العالم

وفي تغيير هندسته

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٤ـ#

شجرة بعد شجرة

وكوكباً بعد كوكب

وقصيدة بعد قصيدة

سأقول لك أحبك

وتضيق المسافة بين عينيك

وبين دفاتري

ويصبح الهواء الذي تتنفسيه

يمر برئتي أنا

وتصبح اليد التي تضعيها

على مقعد السيارة هي يدي أنا

سأقولها عندما أصبح قادرًا

على استحضار طفولتي وخيولي

وعساكري ومراكبي الورقية

واستعادة الزمن الأزرق معك

على شواطئ بيروت

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٥ـ#

حين كنت ترتعشين كسمكة بين أصابعي

أحبك .. أحبك والبقية تأتي

حديثك سجادة فارسية

وعيناك عصفورتان دمشقيتان

تطيران بين الجدار وبين الجدار

وقلبي يسافر مثل الحمامة

فوق مياه يديك

كأنه يعزف على أوتار قلبي الممزقة كأنه يذكرني بتلك النبضة البعيدة التي نبض فيها قلبي وخبت للأبد لا لعيب فيه لكن لخوفي من المجهول من جرح محتمل بسبب إعاقة لا ذنب لي فيها، خرجت من شرودي ونظرت في وجهه أتلمس دفء المشاعر فقد شعرت أن داخله نبع لا ينضب ولديه قدرة عجيبة على منحه لكل محتاج، أردت أن أستدرجه في الحديث وقلت :

- لعلها تستحق كل هذا!

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٦ـ#

- وأكثر مما تتخيلين التقيت بها في الوقت الذي انتهت فيه الدنيا عندي بعد خسارة مشروعي الثاني وضياع سنوات أخرى من عمري بلا طائل لكنها كانت المكسب الوحيد بعد كل هذه الخسارات، تعرفت عليها حين جاءت مهنئة ومشجعة وكانت تعمل في المحل المجاور للمطعم قبل أن أخسره، الدفء المنبعث من صوتها ذكرني بأمي ذكرني برائحة الزرع القادم من الحقول التي كنا نلعب بالقرب منها في الطفولة ... بطعم كوب الشاي الذي كنا نتدفأ به في ليالي الشتاء... بلحظة العودة من مشوار طويل وسفر بعيد للراحة والنوم، وجهها يشبه صورة مريم البتول التي كانت تعلقها جارتنا أم نرجس في باحة بيتها، ابتسامتها الرقيقة محت شقاء السنين وخساراتها في مدة أقل من طرفة عين، وكأني ذُهلت عن العالم وأنا أمنحها زجاجة كولا مجانية ازداد دفء صوتها وهي تشكرني فرجوتها أن تأتي مرة أخرى، وطوال ثلاثة أشهر ظلت زبونتي الوحيدة قبل أن أغلق المطعم بشكل نهائي.
- ولماذا أغلقته ؟

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٧ ـ#

- لم أفهم وقتها طبيعة العمل مثل أهمية اختيار الموقع والدعاية اللازمة والعلاقات الاجتماعية التي تجر أقدام الزبائن إلى المطعم ظننت أن المشروع سينجح بتمرسي وخبرتي من عملي السابق في المطاعم المختلفة اعتقدت أن سر النجاح هو إتقان الصنعة لكن زبائني كانت قليلة ولم أستطع الاستمرار في الخسارة .
- وماذا حدث مع إليسا بعد ذلك؟
- استمرت لقاءتنا وأحاديثنا عرفت كم خساراتي واستني وشجعتني على الاستمرار فعدت إلى عملي كطباخ في المطاعم الشهيرة، واستطعت ادخار مبلغ جديد .. قررت هذه المرة أن أستكين مع زوجة تحبني وتخلص لي ولم تكن مفاجأة لها وكأنها تنتظر هذه اللحظة منذ لقاءنا الأول .. كان زفافنا هادئًا وحياتنا أكثر هدوءًا كنهر تعب من الجري في مجراه وقرر أن يهدأ قبل أن يلتقي بالمصب، بعدها صارت كل شيء في حياتي التي تغيرت بها ومعها؛ استطعت افتتاح مطعم بيتزا جديد في مكان حيوي وسط روما حيث يوجد فيه مقر البرلمان وبعض مكاتب الصحف

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٨ ـ#

القومية والسفارات الأجنبية فكان أغلب زبائني من صفوة المجتمع الإيطالي، ونجحت أخيرًا خاصة بعد أن تمكنت بتكاتي المميزة من جذب السياح الذين يترددون على روما طوال أيام العام، ومن كثرة ضغط العمل ضاعفت ساعات الخدمة وعدد الشباب الذين يعملون معي ولم أنس معاناتي قبل النجاح فقررت أن أساعد الشباب المغترب ففتحت لهم صدري ومطعمي وربحت بهم ومعهم وتمكنت من افتتاح عدة فروع في أماكن أخرى .

- قصة كفاح رائعة.
- ومن أعظم انجازاتي هذه الفيلا في هذا الموقع المتميز على البحر فقد كانت بالنسبة لي حلم بعيد المنال لكنه تحقق وتحقق معه حلمي الجميل في الإنجاب من إليسا فكانت سارة هي عودة القمر لينير السماء بعد أن حجبته سحب وغيوم .. فجرت داخلي مشاعر الأب المنشغل ببناء مستقبل أسرته ففكرت في بناء الأرض التي اشتريتها في بني سويف ذلك الحلم القديم الذي

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٥٩ ـ#

تمتد جذوره منذ حياة أبي، قررت أن يكون لسارة بيت في بلد أبيها مجرد مرسى تلجأ إليه في أوقات العسرة فلربما تحن في يوم من الأيام للعودة إلى أصولها ووطنها البعيد لذلك قررت العودة للشروع في البناء واستخراج التراخيص، وليتني ما عدت فقد تلقيت طعنة جديدة لم تكن في حسباني وخسرت حلم جديد لم أتوقع خسارته لأن الحكومة أخذت قطعة الأرض .

- لماذا ؟
- ذهبت في توسعات الطريق .. وجودها في مكان حيوي على كورنيش النيل تسبب في ضياعها وضياع حلم العودة .. خسارة فادحة بمعنى الكلمة لكني هضمتها ككل الأحداث التي مرت بي قبل مجئ سارة... بعدها لم أستطع العودة لمصر لسنوات طويلة فلم يعد هناك ما أعود لأجله وكأن كل الأحداث تتواطأ ضدي كيلا أعود؛ توفى أبي ثم أمي التي لم تتحمل مُر الوحدة والفراق ومن بعدهم ذهبت الأرض ومعها أصدقاء الطفولة الذين طمعوا في أن أعيرهم

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦٠ـ#

مبالغ خرافية لإقامة مشاريع خاصة بهم وكأني هنا في إيطاليا أزرع الأرض لتنبت عملات ذهبية ولا يعلمون إنني لا أملك تلك المبالغ وكل أموالي كانت تُدار في سوق العمل.

- هذا يوم الوجع .

قلتها بعد أن فاض بي ولم أستطع سماع المزيد من المآسي، سحبت ألبوم الصور من يده وطلبت منه أن نخرج لنتمشى قليلاً فعرض عليّ رحلة ترفيهية بصحبة العائلة للتعرف على شوارع روما وأماكنها السياحية المميزة .

♠ / ♠

الـفـصل الـرابـع
روما الحاضر والماضي

#ـ سونـاتـا لـروما ـ
عزة مـصطفـى ـ ٦٢ـ#

روما مدينة الأساطير .. ملحمة ممتدة في عمق التاريخ، يجتمع على أرضها الجمال والغواية .. الحقائق والأحلام الفن والخيال؛ فتتحدث آثارها بضجيج الماضي واستقرار الحاضر، وتكشف ثقافتها عن حضارة أصيلة.

فهي مدينةً أوروبية والمدينة الأكبر في إيطاليا تتميز بتاريخها العريق الذي يمتد لأكثر من ٢٥٠٠ سنة، كما احتلت مكانة مركزية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، فهي بذلك إحدى المدن المؤسسة للحضارة الغربية، وقد أطلق عليها اسم المدينة الخالدة؛ فهي مدينة عالمية شهيرة وسط مدن العالم المتحضر. ومدينة روما يقصدها الملايين من الزوار والسياح من مختلف أنحاء العالم في كل عام لأنها غنية بمقومات الحياة أو كما يُقال إن جميع الطرق تؤدي إلى روما.

بها غواية قديمة وفتنة آنية تُشجع الجميع على القدوم إليها، منها الثقافة والفن فهي تتميز بتراثها الثقافي حيث تضم عددًا كبيرًا من الأعمال الفنية والمراكز الثقافية من متاحف ومعارض وقصور قديمة، ولعل أهم ما يميز روما وكان السبب الرئيسي لنجاح هو عمي سعد هي

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦٣ـ#

مطـاعم المـأكولات الشـهية؛ فتتميـز بتقـديم العديـد مـن الأطباق والمأكولات المميزة اللذيذة من أشهرها البيتزا والخرشوف الروماني وسباغيتي الكاربونارا.

وأيضًـا تشـتهر بمواكبـة أحـدث صـيحات الموضـة وعـروض الأزيـاء العالميـة وبهـا العديـد مـن مراكـز التسـوق ومحـالات بيـع الملابـس، وبـذلك تعتبـر مقصـدًا لمحبـي الأزيـاء والموضـة، كمـا تُحظـى المدينـة بطقـس معتـدل يجـذب الـزوار والسـياح للاسـتمتاع بـالأجواء الرائعة.

ولـم يجـذبني شـيء مثلمـا جـذبتني آثارهـا المتنوعـة حيـث تزخـر المدينـة بالمعـالم التاريخيـة والأثريـة العتيقـة التـي تعـود إلـى الحضـارة الرومانيـة، وقـد اسـتمتعت بزيـارة العديد منها بصحبة عمي وعائلته، فقمنا بزيارة بعض الأماكن التي فتنتني وجعلتني أندمج فيها وأعيش معها وأستشعر روعة الرومان القدماء في تصميم المباني وهندستها، كان منها مدرج الكولوسيوم الذي يُعد واحدًا من المعالم الأثرية الشهيرة وهو مدرج روماني ضخم، استفاض عمي في شرح حقيقة بنائه حيث بُني من كتل

الحجر الجيري في عهد أباطرة الرومان، و يأخذ المُدرج شكل بيضاوي مميز ويطل على ساحة واسعة، ويصل أعلى ارتفاع للجدار المحيط إلى نحو أربعة طوابق، ويتسع إلى حوالي خمسين ألف متفرج، ويشتمل في أسفله على العديد من الممرات والنوافذ والأقبية والغرف والمصارف، وقد مثّل هذا المدرج في السابق مقرًا لإقامة الاحتفالات والمسابقات وحلبة المصارعة والفعاليات الترفيهية الأخرى، وقفت في منتصفه منتشية كأني أسمع صوت الجمهور وهم يحتفلون ويرددون الأغاني والأناشيد في مرح وحماس .

كما ذهبنا إلى البانثون وهو معبد روماني أثري قالت سارة أنه بُني في عام ٢٧ ق.م بأمر من القائد العسكريّ ماركوس فيبسانيوس أغريبا، ويتميز هذا المعبد بحجمه الضخم وبعمارته الرائعة، حيث يأخذ المبنى الشكل الدائري مع قبة خرسانية مثلثة الشكل والتي ترتفع على الواجهة الأمامية المكونة من أعمدة حجرية ضخمة تتخللها أبواب مزدوجة ضخمة مصنوعة من البرونز، أما الجزء الداخلي من المبنى فهو مبطن بالرخام

الملون، وتتزين الجدران بتجاويف عميقة والنقوش التي تزين الأسقف والزخارف الجصية والبرونزية .

ومررنا على المنتدى الروماني وهو ميدان وساحة أثرية قديمة، كانت توجد في مركز مدينة روما القديمة ومثّلت آنذاك المركز الاجتماعي والسياسي والتجاري للإمبراطورية الرومانية حيث ضمت مجموعة من الأبنية والمعالم الرومانية الهامة مثل قوس سيبتيموس سيفيروس وكنيسة كوريا ومعبد زحل وقوس تيتوس وطريق فاي ساكرا الذي يُعتبر الشارع الرئيسي للمنتدى وبه أعمدة الجرانيت الثمانية بالإضافة إلى كنيسة ماكسينتيوس والتي تُعتبر المبنى الأكبر في المنتدى.

وأصرت إليسا على زيارة تل بالاتين وعلى ما يبدو أنه مرتبط بذكرى سعيدة عندها وتأكد إحساسي من نظرة الود التي تبادلتها مع عمي، يوجد هذا التل بين سيرك ماكسيموس والمنتدى الروماني، وهو يُعتبر التل الأكبر من بين جميع التلال السبعة في روما، ومن أشهر الأماكن السياحية فيها، حيث يشتمل على مجموعة من الأطلال التاريخية والمعالم الأثرية الهامة، ويُعتقد أنه

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦٦ ـ#

المكان الذي ضم المنازل الفخمة للأباطرة، ولعل أهم معالم هذا التل هو منزل ليفيا الذي ما زال محتفظًا بشكله حتى هذا اليوم .

ولم ينس عمي ساحة نافونا وهي ساحة عامة أثرية تاريخية، بُنيت في القرن الأول بعد الميلاد؛ بهدف إقامة سباقات العربات والمسابقات الرياضية، وتُعد واحدة من الأماكن السياحية الرائعة في روما حيث تشتمل على مجموعة من المطاعم والمقاهي الفاخرة .

وأكثر ما شد انتباهي هو نافورة تريفي تلك النافورة الشهيرة بتحقيق الأمنيات حيث يعتقد البعض أنه بمجرد زيارة النافورة وإلقاء قطعة من النقود المعدنية في مياهها فإن ذلك يضمن تحقيق الأمنيات؛ لذلك تجمع حولها كثيرمن الشباب الذين جاءوا بأمنياتهم ليلقوا العملات المعدنية حتى يظن من يراهم أن هذا المكان من أغنى أماكن العالم، منظرها جذاب حيث يقف تمثال نبتون وسط النافورة مع عربة يجرها حصانان وحوله ثلاث جميلات .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦٧ـ#

كل مكان نذهب إليه يقف كشاهد على حضارة لم أتعرف عليها من قبل، وكما كشفت الآثار الفرعونية عن عبقرية المصريين القدماء أفصحت الآثار الرومانية عن سر اتساع الامبراطورية الرومانية .

كانت هذه الرحلة من أسعد أوقات حياتي فقد تعرفت على المدينة التي أسرت عمي وأوقعته في هواها، ولا أعرف سبب واضح لتعلقي بالأماكن أو بمعنى أدق عشقي لكل ما هو قديم؛ لعل السبب يرجع إلى هوايتي في قراءة كتب التاريخ وتتبعي لأهم الاكتشافات الأثرية، ولعل عمي عرف عني ما كنت أخفيه عن نفسي لذلك مكثنا أسبوع كامل في تلك الزيارات، لم أشعر بمرور الوقت ولا كيف ينقضي النهار ويذهب الليل كل ما شعرت به أنني في حاجة إلى قراءة المزيد عن تاريخ روما تلك المدينة التي فتنتني في بضعة أيام، لم أت إليها سائحة أو باحثة عن فرصة عمل لم أت لاستكمال دراساتي العليا أو في رحلة استكشاف، جئت كي أنسى جرحي فإذا بي أمام جراح عميقة لا أعرف أيهم أداوي أولاً ألم الفراق أم تلك الندوب التي تملأ قلب عمي سعد الذي لم ألتق به على مدى حياتي سوى مرات قليلة؛ كان

يظهر للحظات ويختفي بعدها لأعوام حتى ينساه الجميع وتنقطع سيرته من على الألسنة سواء ألسنة النساء في مجالسهن الخاصة أو ألسنة الرجال في المقاهي والحي الذي نشأ فيه حي الحميات، لكن الجميع يتفق على أنه يمتلك ثروة لا حصر لها بل يزعم البعض أنه يمتلك تل من المال إذا وقف عليه أبصر الأهرامات في مصر، ولا يعلمون أنه إنسان بائس يسعى مثلهم على رزقه انكسر قلبه مرات ثلاث وتعرض لخسارات كثيرة وبدأ من الصفر في دورات متكررة ولولا عزيمته أو بمعنى أصح لولا عدم قدرته على العودة العارية من كل أسباب السفر لعاد منذ زمن بعيد .

إنسان عانى على مدى رحلة كفاحه من أمراض عديدة ودخل غرفة العمليات لأكثر من مرة وحُجز في المستشفيات وحده لم يكن ثمة من يقف بجواره أو يطمئن عليه، ولا أحد يعلم أن الأصعب من المرض عدم الاهتمام وقلة السؤال... لا أدري هل هو تجاهل متعمد من الأصدقاء أم ضريبة يدفعها المسافر ثمن غربته .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٦٩ـ#

عمي الذي أرى فيه صورة أبي أكثر إنسان في هذا العالم احتمل وجرب الألم بجميع أشكاله وألوانه، ورغم ذلك لازال يعيش ويبتسم ولديه أمل وألبوم ذكريات.

بعد أن قضينا أسبوع لطيف وسط العائلة عدت معه إلى شرنقته، لا أدري كيف يرتبط بهذه الفيلا ارتباط الطفل بأمه أوالغريب بوطنه، ولا أدري كيف تسلل إليّ هذا الشعور حتى أنني لا أتخيل كيف سأفارقها وأعود إلى بيتي في بني سويف لدرجة أن عقلي يراودني أحيانًا بالبقاء لكني أعود وأشتاق إلى رائحة التراب والطين والمطر في بلادي.

♠ / ♠

ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٠ ـ #

الـفـصل الأخـيـر
الحياة التي لم أعتدها

#ـ سونـاتـا لـرومـا ـ
عزة مـصطفـى ـ ٧١ـ#

صباح هادئ ككل صباحات روما لا باعة جائلين يوقظون النائمين بالنداء على بضاعتهم رخيصة الثمن، ولا أطفال أشقياء يضجون الشوارع باللعب والصخب، ولا ثمة جارة تلقي تحية الصباح على جارتها مع تبادل السؤال اليومي عن صحة الأولاد وجديد الأحوال .

لم أشعر بشهية لتناول الفطار الإيطالي لعلي تذكرت باشتهاء رائحة الخبز البلدي والفلافل الساخنة التي كانت تتسلل إلى أنفي مع أول أشعة الشمس أو رائحة الفطير المشتلت الغارق في السمن البلدي الذي كانت تصنعه أمي لي خصيصًا أيام الجمعة؛ لا أدري هل هذا حنين لبلدي أم أنني تشبعت من روما لحد الضجر لكن على أي حال لازال أمامي أسبوع آخر قبل أن أغادرها وأعود .

نهضت بثقل في جسدي وفي عقلي الذي امتلأ بحيوات أخرى... بحثت عن عمي فلم أجده توقعت أنه أمام البحر يمارس هوايته القديمة في الصيد فقد أكد لي في أكثر من مرة أنها هوايته المفضلة منذ الطفولة وبالطبع

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٢ـ#

لم ينس أن يكللها ببعض الأساطير عن لقائه بجنيات البحر ومحاولات النداهة للعبث معه، تناولت قهوتي الصباحية ثم خرجت إليه لمحته من بعيد يجلس وحده، خواء المكان حوله لازال يثير دهشتي لا يوجد جواره سوى صديقه المخلص والوحيد أوجو يتتبع خطواته يسير خلفه أينما سار ويجلس إذا جلس ويقف حيث يقف... اقتربت منه بخفة كنت على وشك أن أفاجئه بحضوري حين سمعته يتحدث مع الكلب :

هذا ما حدث يا أوجو سارة ترفض الزواج وتريد أن تستقل بحياتها بعيدًا عني وعن أمها وأنا الذي عشت سنوات من عمري أحلم باليوم الذي سآراها فيه عروسة تذهب بخير وسلامة إلى بيت زوجها وتأتي لي بأحفاد يؤنسون وحشة أيامي لكنها ترفض وتتحجج بأن الحياة في إيطاليا تختلف عن الحياة في مصر فهنا البنات يتمتعن بالاستقلال حتى إن لم تتزوج البنت يجب أن يكون لها سكن خاص وتعتمد على نفسها..
احترمت حلمها بالعمل في مجال تصميم أزياءالسينما وبعد نجاحها في الحصول على

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٣ـ#

فرصة مناسبة قررت البعد عني ... كأنه لم يكن يكفيني فراق ابنتي الكبيرة التي تربت في بيت رجل غريب هو زوج أمها، ولم أتمكن من رؤيتها إلا بعد أن كبرت وتزوجت، الآن فقط أستطيع أن أزورها كما أشاء في أي وقت، لكني لا أنسى أبدًا أنها كبرت بعيدًا عني ولم أشهد طفولتها ولم أزرع أحلامها على كفوفي كما فعلت مع سارة .

وأكثر ما يحزنني موقف إليسا التي تصر على أنها حرة في حياتها ويجب أن نتركها تختار ما يلائم ميولها ورغباتها، وأنا يا أوجو ألم تفكر بي ألم تفكر كيف أقضي شيخوختي دونها؟

صمت لبرهة كأنه تذكر شيء لم ينتبه إليه من قبل وقال:

أنا أيضًا تركت أبي يقضي شيخوخته وحده لكنه لم يكن وحده تمامًا كان معه أخوتي ثم أنني لم أخطط منذ البداية لبقائي هنا كنت قادم فقط من أجل العودة بالمال والهدايا لكني لم أعد عدت في زيارات قصيرة ولم أعد ربما أعود في زيارة

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٤ـ#

طويلة بعض الشيء؛ أشتاق إلى أختي الكبيرة التي أصبحت كبيرة بالفعل ولا تستطيع الحركة وحدها.. أشتاق إلى رؤية من تبقى من أقاربي .. أشتاق إلى أصدقاء الطفولة إلى الشوارع التي لعبنا فيها وشهدت شجاراتنا الصغيرة .. أشتاق إلى رائحة المقاهي ومطاعم الفول والطعمية وإلى دكان أبي .. أشتاق إلى طعم الخبز الشهي الذي كانت تصنعه أمي والنسيم حين يهب من ناحية الزرع .. أشتاق إلى مصر يا أوجو حبها يشتعل في قلبي بقدر ما اشتعلت رغبة الرحيل منها في سنوات الشباب .

جففت دموعي وعدت إلى الفيلا لم أشأ أن أقتحم خلوته، وقفت في الشرفة أنظر إليه من بعيد وهو يتحدث مع أوجو والعجيب أن الكلب يتجاوب معه فينظر إليه بحزن ويقترب من قدمه يتمسح فيها وعمي يمسد ظهره بحنو شديد، الآن فقط فهمت سر تلك العلاقة بينهما.

جميعنا نبدأ من الصفر ونتدرج في صعود السلم فمنا من يصل للقمة مهما كانت الصعوبات ومنا من يتوقف في

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٥ـ#

منتصف الطريق ومنا من يفشل في تجاوز الخطوة الأولى، والبعض يسقط أثناء الصعود ويظل طول عمره يعاني من آثار الكسر والنزيف لكن محاولاته لا تنتهي، لا أدري كيف احتمل هذا الرجل كل سقطات الحياة وواصل المسير بينما واحدة فقط كانت تكفي لتوقف الحياة أو لتشل طموحه .

ما تعلمته من عمي كان كفيل أن يمنحني الطاقة لأواصل الحياة رغم كل عثراتها وغدراتها، قررت أن أوجد لنفسي حلم خاص أعيش فيه وله؛ ربما أتفرغ لدراسة التاريخ والبحث عن الحقائق المطموسة، وربما أستعيد أحلام الطفولة في المرح والاستكشاف.

قضيت الأسبوع المتبقي معه تعلمت منه كيفية صيد السمك ومعرفة أحوال البحر وترجمة لغة الأمواج حين تهيج بالصخب وتهدأ بالسكون، والأغرب من كل هذا نشأت صداقة بيني وبين أوجو شجعتني على فكرة تبني حيوان أليف يؤنسني حين أغلق الأبواب على وحدتي .

عندما حزمت حقيبتي للعودة كنت أشعر بثمة حزن داخلي لا أدري هل هو ألم الفراق أم همّ العودة لبيت

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٦ـ#

سأغلق جدرانه على وحدتي على أي حال مهما طال زمن الزيارة كنت سأعود .. ربما كان السفر الأول لي لكني أعرف أنه لن يكون الأخير فهناك أماكن كثيرة في العالم تفتح أبوابها للزوار والمكتشفين وأن كانت إيطاليا احتضنت طموح الشباب في العمل فهناك مدن أخرى تحتضن أحلام البشر على كافة ألوانها وجنونها واستحالتها .

ودعت عمي بعد أن حملني سلام للجميع وخرجت، ركبت السيارة التي كلفها عمي بنقلني إلى المطار وقبل أن تنطلق ألتفت إلى الفيلا وإلى البحر وأسررت إليهم بكلمات الوداع بينما السيارة تبتعد ويبتلعها الطريق ويتلاشى معها وجه عمي الذي تخللته علامات السنين والشقاء، وتسلل إلى إذني أغنية بالإيطالية كانت تنبعث من هاتف السائق استطعت بصعوبة فهم بعض عباراتها:

هل تعلم ان الناس مجنونة

ربما أنهم غير راضين جدًا

يتابعون العالم بشكل أعمى

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٧٧ـ#

عندما تتغير الموضة فإنهم يتغيرون أيضًا

باستمرار بحماقة

أنت أنت الوحيد المختلف

على الأقل أنت في الكون

أنت نقطة لا تدور حولي أبدًا

أنت الشمس الذي يضئ لي فقط

تـمت

عـزة مـصطفـى عـبـد الـعـال

فـبـرايـر ٢٠٢٣

#ـ سـونـاتـا لـروما ـ

عـزة مـصطفـى ـ ٧٨ـ#

السيرة الذاتية

الاسم: عزة مصطفى عبدالعال

مواليد: محافظة بني سويف

حاصلة على ليسانس **آداب** قسم لغة **عربية** جامعة القاهرة. **تعمل** معلمة للمرحلة الثانوية.

نشرت فى بعض **الصحف** والمجلات مثل مجلة **الثقافة** الجديدة ، **جريدة** البيان.

نشرت فى العديد من المواقع **الإلكترونية** مثل موقع صدى **القصة** المصرية **ونادى** القصة السعودي **ورابطة** كتاب القصة **القصيرة** على **الفيس** بوك.

حصلت على بعض الجوائز:

- **الجائزة** المركزية عن هيئة **قصور** الثقافة فرع **أدب** الطفل.
- **جائزة** صلاح هلال في **القصة** القصيرة .
- **جائزة** دار السكرية فى **القصة** القصيرة .

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ **٧٩**ـ#

- **جائزة** مجلة **فن** السرد.
- **جائزة** دار لوتس في **النوفيلا.**
- **جائزة** الاتحاد العربى للثقافة عن **فن** الرواية.
- **جائزة** منف للآداب العربية .
- **جائزة** هيئة **الحوار** الثقافي الدائم و**الاتحاد** الدولي للفنون والاعلام في الكتابة الموجهة **للطفل.**

صدر لها :

- **رواية** الأطفال مرآة العقل عن دار محطة مصر .
- **رواية** الأطفال أرض الطفولة عن دار محطة مصر.
- **رواية** الأطفال مغامرات ندى عن دار محطة مصر.
- **قصة** الأطفال أنا الفزاعة عن دار محطة مصر.
- **رواية** الأطفال بنت بلون السكر الجلاب عن دار شان للنشر والتوزيع.
- **رواية** الأطفال مذكرات بيكو عن دار شان للنشر والتوزيع .
- **مجموعة قصصية** التدفق فى عروق الذاكرة عن دار لوتس للنشر الحر.

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٨٠ـ#

- **روايـة** عنـدما يُعشـق الزيتـون عـن دار لـوتس للنشـر الحر

- **رواية** صحفية على هامش الحب عن دار لوتس للنشر الحر .

- **رواية** العالم متر فى متر عن دار لوتس للنشر الحر .

مجموعـة قصـص للأطفـال مطعم سوسو عن دار مجلـة المنى .

- **رواية** طائرة الأحلام عن الهيئة المصرية للكتاب.

- **رواية** راشيل عن دار ديوان العرب.

رواية ليلى والذئاب عن دار ديوان العرب .

- **روايــة** نصــفى الــذى يــرى عــن دار وردة للنشــر والتوزيع.

- **مجموعـة قصصـية** التلاشـى داخـل الجـرح عـن دار وردة للنشر والتوزيع.

- **مجموعة قصصية** حدث فـى الإجـارة عن دار ديوان العرب.

- **مجموعة قصص** الأطفال جوري وقصص أخرى عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

#ـ سونـاتـا لـروما ـ

عـزة مـصطفـى ـ ٨١ـ#

- **رواية** اليافعين أحلام دافئة عن دار شان بالأردن .
- **رواية** سر الهرم الأكبر عن دار شان .
- **قصة** الأطفال ميشو جائع عن سلسلة قطر الندى .

لها تحت الطبع:

- **دفتر ضحى**
- **متاهات الخوف**

#ـ سوناتا لروما ـ

عزة مصطفى ـ ٨٢ـ#

المحتويات

الإهـــداء ٣

مقـــدمة..... ٥

الفصل الأول..... ٨

الفصل الثاني..... ٣٧

الفصل الثالث ٥٢

الفصل الرابع ٦٢

الفصل الأخير ٧١

السيرة الذاتية ٧٩

#ـ سونـاتـا لـروما ـ

عـزة مـصطفـى ـ ٨٣ـ#

دار
البديع العربي
للطباعة والنشر
ت / 01061635162
01557535590

سوناتا لروما

عزة مصطفى ـ ٨٤ ـ